

الأديان وتطور الوعي



يقول مصطفى محمود صاحب كتاب (الإنسان) ص108: (إنّ الأديان تمرّ بمرحلة انهيار تشبه المرحلة التي مرت بها ديانة الإغريق. وهناك صفحة ثانية في طريقها لأن تطوى. والسبب هو نفس السبب في الحالىن. هو العلم وتطور الوعي وظهور المعارف الجديدة).

يفترض هذا القائل انّ جميع الديانات حتى الإسلام جهل وخرافة تماماً كديانة الإغريق. والنتيجة الحتمية لهذا الافتراض انّه كلما تقدمت العلوم تأخرت الأديان. فالمقدمة بديهية. والنتيجة طبيعية!. ذكرني هذا القول بمنطق السفسطينيين وأقيستهم الماجنة.. رأى سفسطيني شاباً، فقال له: هل تحب أن أبرهن لك بالعقل على أنّك حمار؟

قال الشاب: تفضل واتحف السمع.

قال السفسطيني للشاب: أنا لست أنت، أليس كذلك؟

الشاب: أجل. أنت غيري؛ وأنا غيرك.

السفسطيني: وأنا لست حماراً.

الشاب: بكل تأكيد انّ الحمار يمشي على أربع، وأنت تمشي على رجلين.

السفسطيني، وقد امتلاً سروراً بهذا الانتصار: إذن أنت حمار.

أجل، لقد رأى العلماء بعد أن تقدمت معارفهم ان في القرآن أسراراً لا تُفسر إلا بصدق الإسلام وعظمة المبدع وقد تجاوزت الآيات الواردة في وصف الكون حد الإحصاء نذكر بعضها على سبيل المثال، فقد جاء في الآية 38 من سورة يس: (وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ).

وكان العلم إلى عهد قريب يرى أن الشمس ثابتة، ولما تقدمت العلوم الرياضية وآلات الرصد اكتشف ما نطق به القرآن الكريم منذ أكثر من 13 قرناً من أنّها تجري لمستقر وهذا المستقر نجمة تدعى بالنسر الواقع على شكل لولبي.

وجاء في الآية 49 من سورة الذاريات: (وَمِنَ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ).

اكتشف العلم الحديث أن الزوجية متأصلة في كل شيء حتى أن الذرة مركبة من الالكترون والبروتون كهربائية سالبية، وأخرى موجبة، وان جميع ما في الكون من حيوان ونبات وإنسان وجد بصورة زوجية، فمن أوجد هذا الازدواج، هل الصدفة أو قوة عظيمة حكيمة تسيطر على الكون بمن فيه وما فيه؟ وجاء في الآية 41 من سورة فاطر: (إِنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَا لَئِنِ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ).

تشير الآية الكريمة إلى أن الجاذبية ليست بين الأرض وما عليها فقط، بل بينها وبين ما عداها من الكواكب أيضاً، وان كل كوكب يجذب كل كوكب بقوة متناسبة. ولو ان العلماء درسوا القرآن بإمعان، وتدبروا ما أشار إليه من حقائق، ووضعوا تصاميمهم على أساسها لتكشفت لهم هذه الحقائق بوضوح من خلال دراستهم ومختبراتهم، ولتوفر عليهم الكثير من الوقت والجهد، و[] درّ ابن عباس حيث قال: (في القرآن معان سوف يفسرها الزمن) وهذه المعاني هي أسرار الكون التي تكشفت للعلماء يوماً بعد يوم.

أين تلقى محمد (ص) هذه الدروس! وعمّن أخذ نظرية الجاذبية، والتزاوج، وعلم الفلك، وغير ذلك مما عجز عن ادراكه كبار المخترعين، وعظماء المكتشفين! وهل كان لديه آلات ومختبرات، أو ان كل ذلك وجد صدفة، ونزل الوحي به على قلب العربي الأمي صدفة!

ثم نود أن نوجه إلى مصطفى محمود هذا التساؤل:

لقد حكمت دون تردد بأن الأديان تمرّ بمرحلة انهيار. وبديهة أن الحكم في قضية ما يستدعي العلم بطرفيها، فهل أحطت بجميع أسرار الكون وتتبعها واحداً واحداً، ثم استقرأت الأديان والآيات القرآنية والأحاديث النبوية بكاملها، وبعد أن شاهدت وجربت رأيت ان الدين والعلم ضدان لا يجتمعان وعدوان لا يتفقان! ثم انك أشدت بفضل العلم وعظمته، لكنك في نفس الوقت شننت الحملات على دين يدعم العلم، ويؤزره العقل، ويحث اتباعه والناس أجمعين على البحث والنظر والتأمل والتفكير، فكيف جمعت بين الضدين! وعلى أي شيء يدل هذا التضارب والتناقض! هل يدل على (العلم وتطور الوعي).

وإذا كان الدين جهلاً وخرافة يتأخر كلما تقدم العلم، فبماذا تفسر - يا أستاذ - تقدم العرب بعد

الإسلام وتحولهم من جاهلية جهلاء إلى حضارة أدهشت العالم، وقلبته رأساً على عقب، مما جعلتهم يدعون
بجدارة آباء العلم الحديث، كما قال نهرو رئيس وزراء الهند الأسبق!
إنّ الإسلام لن يزول ولن ينهار، لأنّه حق: (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه).
ولأنّه واقع: (وَمَا يَعْزِمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ) (آل
عمران/7).

أما الذي ينهار إلى غير رجعة فهو الذي يقول بغير علم. ويعتقد قبل أن يتصور.. إن صح التعبير.
وبالتالي، فمهما تقدم العلم وتطور الوعي فإنّ الإسلام أرحب وأوسع من أن يضيق به. إنّ عظمة الإسلام لا
تظهر إلا بالعلم. ومن هنا لم ينكر هذه العظمة إلا جاهل أو مكابر.